4–جورج لوكا تش و سوسيولوجيا الأدب:

(1970_1885)

1–تقديم:

تأثر "جورج لوكاتش" بأفكار الماركسية إلى حد كبير،و قد اعترف أنه أقر أنه قرأ ماركس عندما كان طالبا في الجامعة ، يقول:"كنت قد قرأت بعض نصوص ماركس عندما كنت طالبا ،وفيما بعد نحو 1908 توجهت نحو رأس المال لأعطي أسسا اجتماعية لمقالتي عن المأساة المعاصرة"[1].

يرى "لوكاتش" أن هناك علاقة وطيدة الصلة بين الأدب و المجتمع ، فهو يقر أن " عمليتي الإنتاج الأدبي و الإيديولوجي هما جزء لا يتجزأ عن العملية الاجتماعية العامة ،تلك العملية التي تتجه نحو نبذ المجتمع القديم و بناء مجتمع آخر جديد لا محل لظلم الطبقي فيه"[2].

حاول "لوكاتش " أن يربط بين الفكر الماركسي و الفكر الهيجلي ،وقد ظهر ذلك من خلال اهتمامه بمقولتي هيجل : الكلية و الانسجام التي طورهما و أخرجهما في شكل جديد ،وذلك بعدما رفض أن يكون الأدب عاكسا للبنية التحتية ،فالصواب في رأيه أن هناك علاقة بين الأدب و المجتمع ،وهي تظهر من خلال مفهوم الكلية.

يرى "لوكاتش" أن أهمية ماركس تكمن في قراءته لفكر "هيجل" و لفلسفته . و قد كانت هذه القراءة تكملة لفلسفته "والنقد الماركسي لهيجل هو التكملة المباشرة للنقد الذي مارسه "هيجل" ذاته ضد "كانط "،وهكذا ولدت جدلية ماركس كتكملة ناجمة لما قصده "هيجل"[3].

و قد انتقد لوكاتش فلسفة هيجل فرأى أنها غير قادرة بحكم مثاليتها على إدراك الوحدة الجدلية القائمة في المجتمع البورجوازي ،و أن تطور الرواية مرتبط بتدهور المجتمع و قيمه ، و هو فضلا عن هذا

---

[1]- **جورج لوكاتش ،التاريخ و الوعي الطبقي ،ترجمة حنا الشاعر،دار الأندلس لطباعة و النشر والتوزيع،ط1979،1،ص 146.**

[2]- **محمد علي اليدوي،علم اجتماع الأدب،(النظرية و المنهج و الموضوع)،ص 151.**

[3]- **جورج لوكاتش : التاريخ و الوعي الطبقي، ص28**

النقد ينوه بأن الفضل الكبير يرجع إلى هيجل ، لأنه أول من ربط بين الرواية و المجتمع البورجوازي ، و لكن رأيه ظل مجرد حدس .و بالمقابل فإن ماركس و أنجلز هما اللذان نجحا في رد الطابع التناقضي للتقدم إلى أسباب اقتصادية حقيقية ، و في تقديم صورة ملموسة عنه من خلال تاريخ المجتمع الانساني ، و بالتالي فإن تطبيقه بصورة صحيحة على الفن عموما و على الرواية خصوصا " [4].

يرجع لوكاتش فضل هيجل إلى أن " له السبق في طرح المشكلة بصورة دقيقة في مجملها " [5].

كما يرى أن "ماركس" استطاع تخليص الفلسفة الهيجلية من الجانب الميتافيزيقي،و معه بدأت الانطلاقة الحقيقة للمادية الجدلية.التي أقامها على فكرة الوجود الاجتماعي الذي يقرر وعي الفرد ، فوعي الفرد لا يقرر وعي الناس ،فليس هو "الذي يقرر كيانهم بل النقيض ،فإن كيانهم الاجتماعي هو الذي يقرر وعيهم"[6].

وهذا هو الذي يميز الإنسان بنظره ،و هنا يمكن تلمس الفارق بين وعي الفرد في المجتمع الإقطاعي و البرجوازية ،ففي الأول غابت الأنسنة التي أضاعتها الرأسمالية ،و أما في المجتمع البرجوازي فقد أصبح الإنسان يعي ذاته ككائن اجتماعي ، أصبح "بالمعنى الحقيقي للكلمة كائنا اجتماعيا و بات المجتمع الحقيقة الموضوعية للإنسان"[7].

إذن تكمن أهمية "لوكاتش" في تعميقه للمفاهيم التي جاء بها "ماركس" ، وقد حاول تبيان علاقتها بالفلسفة المثالية التي جاء بها "هيجل" ، و في الوقت الذي حاول نزع الجانب المثالي عنها وذلك بتحويلها إلى قضايا تاريخية بردها إلى الواقع.

كما تكمن أهميته في تحليله لنظام الطبقي في المجتمع الرأسمالي الذي رأى أنه يتألف من طبقتين فقط هما:البرجوازية و البروليتاريا :فهما الطبقتان الوحيدتان اللتان بإمكانهما أن تقوم بمهمة

---

[4]- جورج لوكاتش ، نظرية الرواية و تطولرها، ترجمة و تقديم نزيه الشوقي ، دمشق ، سوريا ، ط1،، ص23.

[5]-المرجع نفسه ، ص24.

[6]-المرجع السابق، ص28.

[7]-المرجع نفسه ، ص28.

الحسم التاريخي ،فالبرجوازية حسمت مع الإقطاع ،ووضعت حدا لحقيقة تاريخية بكاملها ، وهي حقيقة ما قبل الحداثة.

أما البروليتاريا فإنها تهدف إلى القضاء على المجتمع الطبقي ، فهاتان الطبقتان يمكن أن تحدثا قطيعة في مسار التاريخ الإنساني .

لقد اهتم ماركس بالطبقة البرجوازية ،وكذلك فعل لوكاتش عندما اعتبرها طبقة استغلالية تحول العقل إلى أداة من أدوات القهر و الاستغلال[8].

مر فكر لوكاتش بمرحلتين:

المرحلة الأولى:وهي مرحلة ما قبل كتابه "التاريخ و الوعي الطبقي" ، وهو يتميز بالمثالية و إنكاره للعلاقة الجدلية للأدب.

المرحة الثانية: أحدث فيها لقاء بين الفكر الماركسي و الفلسفة الهيجلية ، وقد انعكس ذلك على مفهومه للأدب.

2-مفهوم الأدب عند جورج لوكاتش:

يرى "لوكاتش" أن الأدب "ليس انعكاسا مباشرا للواقع ،وحتى يحقق الانعكاس لابد أن يمر عبر الكاتب"لابد له من المرور عبر ذات الكاتب الإبداعية التي تصوغ شكل العمل الأدبي الذي يعكس شكل العالم الحقيقي"[9].

بمعنى أنه يجب تقديم الوظيفة التمثيلية على الوظيفة الواقعية ، و ترتبط الأولى بالكاتب الذي يترك أثره على أدبه ،وتتجلى نزعته الواقعية على ضرورة أن "يعكس الواقع الاجتماعي و أن يلتزم بقضايا الطبقات ،وخاصة الطبقة العاملة ،و أن يكون قادرا على أن يدرك صيرورة الصراع الاجتماعي و يجسد في عمله بوسائله الفنية "[10].

---

[8]-عبد الوهاب شعلان ، المنهج الاجتماعي وتحولاته، ص37/36.

[9]-عمرو عيلان النقد الجديد و النص الروائي العربي ، مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2006/2005، ص194.

[10]-أحمد فؤاد عاطف ، علم اجتماع الأدب ، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر ،1996، ص79.

و يصبح بهذا المعنى للأدب هدفا ،هو نقل الصراع الطبقي الموجود في المجتمع ،وقد أعطى مثالا عن ذلك ببلزاك، فقد كانت له القدرة إبداعية تجلت في تعريته لواقعة وكشف الصراع الطبقي فيه.

ويرى" لوكاتش "بضرورة أن نعطي الأولوية للمضمون على حساب الشكل الذي يصبح مجرد وسيلة في خدمة المضمون ،والفرق بينه وبين الماركسيين و هو أنهم لم يفصلوا بين الشكل والمضمون في حين أنه جعل الثاني في خدمة الأول.

لجورج لوكاتش مقولات نقدية تجسد رؤيتة للأدب ،وهي:

أ–مفهوم الكلية:

أخذها من "هيجل" ،وهي تقوم على ضرورة أن يرتبط الكل بالمجتمع دون إعطاء أية أهمية للفرد ،ويعتبر "لوكاتش" هذا المبدأ هو البداية للقيام ثورة في العلم"مقولة الكلية هي حاملة المبدأ الثوري في العلم"[11].

يرى هذا المفكر أن "المعرفة الحقة هي معرفة الكل وليست معرفة أجزاء مختلفة منه،ولذا فإن معرفة المجتمع يجب أن تأخذ طابع المعرفة العامة وليس معرفة الجزء أو ذاك"[12].

و قد بين بير زيما في مجال حديثه عن سوسيولوجا النص و علاقتها بالفكر المادي الجدلي أنه لا يمكن استيعاب المقولات اللوكاتشية إلا بالرجوع إلى بعض مبادىء ،ومفاهيم هيجل عن فلسفته الجمالية ، و منها الكلية، و هي " أن الواقع لا يمكن فهمه إلا ككل متسق ،ككلية دالة و الفكر الذي لا يفهم العالم الموضوعي ككلية ،بل يعزل الظواهر الفردية بعضها عن بعض يظل تجريديا و

---

[11]-المرجع السابق ، 79.

[12]- كريب أيان ، النظرية الاجتماعية من بارسوتز إلى هابرماس ، ترجمة محمد حسين علوم ن محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1990، ص304.

المدخل الذي يتناول الظواهر في علاقتها بكلية تتخذ فيها معناها من أجل إقامة علاقات فيما بينها هو وحده الذي يقدم بشكل عيني "[13].

تتصف فلسفة هيجل بالعقلانية و الواقعية لذلك فهو يطالب بالجمع بين العقل و العام و الشعور لأن الجمال الفني يخاطب الحواس ،الاحساس ،الحدس الخيال، و ما إلى ذلك .إنه جزء من مجال آخر غير الفكر "[14]

أعطى "هيجل" الكلية بعدا مثاليا فحاول "لوكاتش" أن يخلصهما من هذا البعد و بالمقابل حاول أن يعطيهما بعدا أو طابعا ماديا جدليا .

وينطلق هذا المفهوم عند "ماركس" من تصوره لتاريخ الذي يراه أنه عبارة عن بنية من العلاقات الإنسانية تتفاعل تفاعلا جدليا يؤدي بالضرورة إلى التحول و الانتقال من نمط إنتاج إلى آخر،و إن كان الأساس الاقتصادي يعد محرك التاريخ ،فليس ذلك بمعزل عن الأنسجة الاجتماعية الأخرى كالدين ،والفن ،والقانون ،و الإيديولوجيا ،وهذه البنية هي عنصر بنوي من النسق العام.[15].

ب–الانعكاس:

يرى "لوكاتش" أن العمل الأدبي لا يعكس الواقع من خلال رسم مظاهره الحسية ،و إنما ينقل تجربة إنسانية حرة ومعقدة ، أي لا ينقل رؤية فنية للعالم .و عمل كهذا لا يمكن أن يكون منحطا من الناحية الجمالية ،وعلى هذا الأساس فليس هناك أي تناقض بين فكرة الانعكاس و الخصوصية

[13] -بيير زيما : النقد الاجتماعي نحوعلم اجتماع لنص الأدبي ، ترجمة عائدة لطفي ،مراجعة أمينة رشيد ، سيد بحراوي ،دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة ، مصر ، ط1، 1991.ص45.

[14] .-المرجع السابق ،ص47/46

[15] **- عبد الوهاب شعلان ، المنهج الاجتماعي و تحولاته ، ص33.**

الفنية.[16].و لا يعني الانعكاس عند لوكاتش "تصويرا فوتوغرافيا للواقع و لكن تشكلا للنمطي و الذي يصبح أساسا لأسلوب واقعي"[17].و غايته من ذلك هو خروج الأدب عما ألفه من زمن طويل.

اهتم لوكاتش بمضمون الرواية ،وليس ذلك يعني أنها انعكاس مرآويا للواقع،و إنما هي "فعل النفاذ إلى الواقع بصورة مبدعة"[18].

ج–رؤيا العالم:

كثيرا ما كان "لوكاتش" يعلن أن" ما يهم هو النظرة إلى العالم أو العقائدية التي تكمن تحت عمل الكاتب"[19].

إن غاية الأدب عنده أن يصبح له رؤية تحمل أفكارا و أحاسيس و مشاعر . رؤية تدرك الواقع و التاريخ وتطوره ،عندما يحقق الأدب هذه الغاية يصبح عظيما ،فيتمكن من نقل روح الجماعة و يتمثل وعيها بإيجابية ،وهو بذلك سيبتعد عن مفهوم الانعكاس السلبي، إذا تحقق هذا يصبح الأدب يقدم رؤية فنية للعالم (...) إنه القدرة الإبداعية على الإمساك بالكلية الاجتماعية ،بغية الغوص في ما هو كامن خلف الظواهر الحسية،و ما يمثل حقيقة جوهرية"[20].

رؤيا العالم ليست مجرد صوت إيديولوجي ، و إنما هي حصيلة المشاعر التي تظهر في النص الأدبي و التي لا تعبر عن ذات المبدع فقط ،و إنما عن وعي الطبقة أو الجماعة لأن المبدع الحق هو الذي ينصت لوعي طبقته ، و يعبر عنها دون أن يوقعه ذلك في التصوير الحرفي للواقع .و قد أعطى مثالا ببلزاك "و لا يشغل بالنا هنا بأن يكون بلزاك مماثلا لغوته و هيجل من الوجهة النظرية ، حين بحث عن حالة وسطى طوباوية لهذه التناقضات ، و ذهب بعيدا إلى حد تصوير هذه الحالة في بعض رواياته ذلك لأن مساهمته التاريخية في تطوير الرواية تستند بالضبط إلى أنه قد ابتعد عن هذه الطوباوية

---

[16]- المرجع السابق ، ص41.

[17]- جورج لوكاتش ، معنى الواقعية المعاصرة ، ص49.

[18]-هوست ريديكر ،الانعكاس و الفعل ، ترجمة فؤاد مرعي ، دار الفرابي ، بيروت ، لبنان ، 1977، ص23.

[19]- المرجع نفسه ، ص18.

[20]-عبد الوهاب شعلان ، المنهج الاجتماعي و تحولاته ، ص41.

التي تتمثل في الحالة الوسطى عندما يتعلق الأمر بالخط الرئيسي في التصوير ، ثم تمسك بإبراز التناقضات فقط "[21].

3-نظرية الرواية عند جورج لوكاتش:

استمد هذه النظرية من "هيجل" ،وهي تظهر في كتابه "نظرية الرواية" الذي بدأ كتابته سنة 1914، وقد كان يبحث فيه عن "مخرج من اليأس الذي حملته الحرب"[22].

ظهر الكتاب المشار إليه سنة 1920،و قيل أنه ألفه ليدافع من خلاله عن الفكر الماركسي. و تنحصر رؤية "لوكاتش" للرواية في كونها جنس شيطاني "تاريخ منحط (...) بحث عن قيم أصلية في عالم منحط هو الآخر ،و لكن على صعيد متقدم بشكل مغاير ووفق كيفية مختلفة"[23].

وجاءت هذه النظرية بعد دراسته للمجتمع الإغريقي الذي أقر أنه مجتمع مثالي أفرز أنواعا أدبية مثالية. أما المجتمع الحديث فقد أنشأ أنواعا أدبية خاصة به أهمها الرواية التي تعبر عن تمزقه و ظلمه و شيطانيته ،فقد نشأت الرواية لتعبر عن الذات داخل هذا والواقع و التي أصبحت "فاقدة لعلاقتها العضوية بالحياة و لاندماجها في كلية متعالية تقدم معنى لوجودها"[24].

يقول جورج لوكاتش في بداية الكتاب "الرواية هي الشكل الأدبي الأكثر دلالة في المجتمع البورجوازي "[25].و قد سبقتها أشكال أخرى تنتمي إلى العصور القديمة و الوسيطة و لكن خصائصها لم تظهر إلا مقترنة بالمجتمع البورجوازي الذي عاش تناقضات قدمت فيها " بطريقة أكثر ملائمة و إفصاحا " بحيث أصبحت الشكل النموذجي الدال على هذه الطبقة .و أشار على صعيد آخر إلى أن هذه الطبقة لم تهتم تاريخيا إلا بالملحمة ،و الدراما ،و الملهاة "ففي كل المسائل الثقافية و الجمالية

---

[21]-جورج لوكاتش ، نظرية الرواية و تطورها ، ص32.

[22]-ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي ، ترجمة محمد برادة ، دار الفكر للدراسات و النشر ، القاهرة ، مصر ، ط1، 1987، ص10.

[23]-لوسيان غولدمان ، مقدمات في سوسيولوجيا الرواية ، ص10.

[24]-ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي ، ترجمة محمد برادة ، ص11.

[25]-جورج لوكاتش : نظرية الرواية و تطولرها، ص15.

نلاحظ أن نظرية التطور البورجوازي استندت في بداياتها إلى النموذج القديم حيث وجدت أشد الأسلحة إيديولوجية فعالية في معركتها من أجل إرساء ثقافة بورجوازية متعارضة مع ثقافة العصر الوسيط و قويت هذه النزعة كثيرا خلال المرحلة الأولى من تطور البورجوازية الصاعدة "[26].

ترتبط الرواية بثقافة العصر الوسيط التي كانت قد اتخذت صيغة شعبية و تجارية .و رفضت بدعوى غياب قوالب جاهزة ، و لم يهتم تاريخيا بجماليتها إلا مع الفلسفة الكلاسيكية الألمانية ، و لم تظهر الكتابات عن الرواية إلا في نهاية القرن التاسع عشر أين " شقت الرواية طريقا كاملا كشكل تعبيري نموذجي للبورجوازية "[27].مع إميل زولا ، و بلزاك ، ولتر سكوت .،و غوته ...و على الرغم من ذلك فإن " التطور البورجوازي لم يقدم نظرية متكاملة و منظمة " [28].

4-الملحمة و الرواية :

قارن لوكاتش بين الرواية و الملحمة، فالأولى تعبر عن الذات. أما الثانية فهي تعبير عنها في علاقتها بالعالم .و الرواية تسعى للتعبير عن تناقضات الواقع أو المجتمع ،أي لأن تكون ملحمة العصر الحديث.

يذكر هنا بمقولة هيجل التي يسجل فيها بأن الرواية ملحمة بورجوازية (...) فهو يعتبر الرواية شكلا فنيا بديلا للملحمة في إطار التطور البورجوازي ، ذلك أن الرواية تنضوي على الخصائص الجمالية العامة للقصة الملحمة الكبيرة و للملحمة من جهة .و تأثر بكل التعديلات التي جاء بها العصر البورجوازي الذي هو من طبيعة أخرى مخالفة ، من جهة ثانية "[29].

الرواية محطة من محطات تطور الفن الملحمي ، فهي بذلك لم تعد فنا شعبيا بل أخذت خصائص ميزتها .و قد أشار هيجل إلى العداء الذي ناصبته الطبقة البورجوازية للشعر فهي قد

---

[26]-المرجع السابق ، ص16.

[27]- المرجع نفسه ،ص 17.

[28]-المرجع نفسه ، ص18.

[29]-المرجع نفسه ، ص19.

انتصرت للنثر على حسابه ، و هو يرى أن "الملحمة ترتبط على الصعيد التاريخي بالمرحلة البدائية من التطور الانساني ، و هي مرحلة الأبطال و استقلالها عن القوى الأخرى "[30].

و من المعروف أن الشعر الملحمي قام على العفوية و عدم انفصاله عن العالم الأخلاقي الذي ينتمي إليه ، بينما النثر في العصر البورجوازي ألغى كل ذلك خاصة الوحدة الجوهرية مع المجتمع ، و بالتالي فإن تطور النثر و الرواية " لا ينفصل عن مفهوم تدهور الانسان و بالتالي تدهور الشعر و تحوله إلى النثر"[31].

لقد تمكن غوته و شيلر و شيلنغ و هيجل من اكتشاف الوحدة القائمة بين الملحمة و الرواية (...) و يكمن المغزى العملي لهذه الخصائص المشتركة في أن كل رواية كبيرة تنزع نحو الملحمة ، و قد تمكن هؤلاء من اكتشاف الفرق بين الملحمة و الرواية ، و من ثم إقرار الرواية كشكل فني بالغ الحداثة [32].

رأى غوته أن التعارض بين الرواية و الدراما يتعلق ب:

-في الرواية تبرز حالات العقل و الأحداث بينما تبرز الطبائع و الأعمال في الدراما ، و البطل في الرواية وجب أن يكون سلبيا عكس البطل في الملحمة ." و سلبية بطل الرواية ، هي ضرورية لا بد منها حتى نستطيع أن نبرز صورة العالم المتعاظمة من حوله و علاقته بها من ناحية "[33].

و إذا كانت الملحمة قد حفلت بالبطل الخارق الذي لم تكن أهدافه منفصلة عن الكينونة الاجتماعية ،فإن الرواية حفلت بالبطل الإشكالي الذي هو "دائم البحث عن قيم مطلقة دون أن يعرفها أو يعيشها كليا،أو حتى يحاول الاقتراب منها"[34].

---

[30]-المرجع السابق ، ص20.

[31]-المرجع نفسه ،ص21.

[32]-المرجع نفسه ، ص25.

[33]-المرجع نفسه ، ص26.

[34]-جورج لوكاتش ، نظرية الرواية ، ترجمة مرزاق بقطاش ، الشركو الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ، دت ، ص47.

فالبطل الإشكالي هو عكس البطل الملحمي ،فهو متمزق ومغترب و ضائع ومضطرب "بطل يضطرب متبددا بين ذاته و الجماعة أو بين ذاته و العالم، حيث لا رابطة إلا التناحر و المنازعة "[35].

5-مراحل تطور الرواية:[36]

قدم لوكاتش أربعة أشكال عن الرواية من منطلق وعي البطل الإشكالي ،وهي:

أ-رواية المثالية المجردة:حيث يستحيل على البطل تحقيق مثله العليا نتيجة لتعقيدات الواقع و ضيق وعي البطل مثال رواية دون كيشوت لسرفانتاس.

ب-رواية رومانسية:يسعى فيها الباطل للتصادم بينه وبين الواقع مثالها رواية التربية لفلوبير.

ج-رواية التربية: يضع فيها البطل بين موقفين متناقضين ،يرفض المجتمع ،وفي الوقت نفسه يبني عالمه الخاص محتضنا مثله العليا .

د-نموذج يتجلى في أعمال ديستيوفسكي و تولستوي:حيث تعود اللحمة الكلية بين الفرد و الكل الاجتماعي تدريجيا.

هذا التقسيم موجود في القسم الثاني من كتابه نظرية الرواية، وقد قدم تقسيما ثانيا في كتابه الرواية ملحمة برجوازية، و في هذا الكتاب أبقى على الأصل الملحمي للرواية و ارتباطها بالبرجوازية ،ولكنه ينتهي إلى أن الرواية في المجتمع البروليتاري تعود إلى منابعها الأول ،و تستعيد خصائصها الملحمية لأنها تترعرع في المجتمع لا تناقض فيه بين الفرد والمجتمع ،ونموذج هذا النوع من الرواية هو رواية الأم لمكسيم غوركي. و قد أخذ تحقيبه للرواية التقسيم الآتي "

أ-الرواية في طور التكوين :

نشأت الرواية نتيجة لصراعات التي خاضتها البرجوازية ضد القيم الإقطاعية،لذلك جاءت مبشرة بقيم الحرية الفردية ،وقد كان نضال الرواد هنا (سرفنتاس و رابليه) مركزا على الاستعباد

---

[35]-**فيصل دراج ، نظرية الرواية و الرواية العربية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 20002، ص39.**

[36]-**المرجع السابق، ص49/47.**

القروسطي، بمعنى أن ولدت الرواية الحديثة ولدت بمضامينها من الصراعات الإيديولوجية للبورجوازية الصاعدة على أنقاض الإقطاعية المنهارة "[37].

لقد ناضل "رابليه" و "سرفنتاس" ضد الإسفاف الذي كان يؤدي إليه المجتمع البورجوازي الناشئ " فسرفنتاس ناضل ضد الظروف الحاسمة التي تفرضها مرحلتان تاريخيتان : أحداهما كانت تحل مكان الأخرى ، أي الصراع ضد البطولة الجوفاء التي جاء بها عصر الفروسية ، و النضال ضد انحطاط مستوى النثر في المجتمع البورجوازي الذي تجلى بوضوح منذ البداية "[38]

و تعود واقعية هذه الأعمال إلى هذا السبب كما تعود إلى " تقلص الحياة الفردية و أفكار الإنسان عن طريق تقسيم العمل الرأسمالي ، لم يكونا بعد قوى مسيطرة على الصعيد الاجتماعي "[39].

لقد كانت البورجوازية في طور النشوء و التكوين أنذاك. و قد كانت تنطوي على عنصر الباثوس في سبيل تحرير الإنسانية التي كانت يومها خارجة من العبودية الاجتماعية و الإيديولوجية اللتين فرضهما الاقتصاد الإقطاعي و سياسيته و ثقافته "[40].

إن الصراع ضد العصر الوسيط قد مكن رابليه و سرفنتاس من تحقيق هذا التنوع في الأسلوب الخرافي ، هو صراع كان مصحوبا بالحصول على كل موروث العصر الوسيط من المواد و الطرائق الفنية .[41]

ب–توظيف الواقع اليومي :

هي مرحلة سيادة البرجوازية و انتصار مشروعها فيها بدأت تباشير البطل الإيجابي الحامل لهموم طبقته الصاعدة مع بروز نمط الرواية التي تعلى من صوت الذات الفردية مثل ما نجده عند غوته ، و جون جاك روسو ، و ريتشاردسون...إلخ.

---

[37]-جورج لوكاتش ، نظرية الرواية و تطورها ، ص43.

[38]المرجع السابق ، ص43.

[39]المرجع نفسه ، ص45.

[40]-المرجع نفسه ص45.

[41]-المرجع نفسه ، ص48.

تخلت الرواية في هذا النموذج عن ذلك المجال الرحب الذي تمثل في الأسلوب الخرافي ، و اتجهت فورا نحو تصوير الحياة الخاصة بالإنسان البورجوازي ، و نلاحظ أن الروائي يطمح لأن يكون سكرتير الحياة الخاصة، فظهر الاختلاف بوضوح خلال الفترة في الشكل المنهجي ، حيث تقلصت الآفاق التاريخية العالمية الرحيبة التي كانت في بدايات الرواية ، و اقتصر عالم الرواية أكثر فأكثر على الواقع اليومي في الحياة البورجوازية ، و لم تعد التناقضات الكبرى المحركة للتطور الاجتماعي التاريخي مجسدة إلا بالمقدار الذي تبرز فيه بروزا واضحا و نشيطا في إطار الواقع .[42]

سعى الكتاب لتصوير الواقع اليومي .و قد احتلت في أعمالهم التفاصيل مكان الصدارة مع إدراكهم بتهميش الإنسان و إهماله " و قد جسدت هذه المرحلة بشكل ميسور في رواية روبنوس كروزو ذلك لأنها كانت المرحلة المسيطرة في صفائها الكلي دون التزام الصمت التبريري البراغماتي إزاء التناقضات"[43].

أعطى الروائيون في هذه المرحلة صورة عن الحالة الوسيطة بكل تناقضاتها. و ميزة هذه الكتابات :

-نقد الركام المتعفن من المجتمع القديم .

-نقد ذاتي لطبقتهم التي بدأت تعمل على بناء المجتمع الجديد.

ج-السيادة الحيوانية في الشعر :

أنهت الثورة الفرنسية الأوهام البطولية للبرجوازية، و في هذه المرحلة ولدت الرومانسية لتخوض كفاحا ضد الرأسمالية ،وقد أدرك كبار الكتاب ضيق الأفق الرومانسي لذا كان نشاطهم موجه إلى الروح العفوية لدى الناس التي يرونها أعمق من الرومانسية ،نموذج هذه المرحلة هو "بلزاك"و"هوفمان".

تحول في هذه المرحلة " تحول الواقع اليومي عن طريق الرواية في القرن الثامن عشر إلى مجرد وسيلة من أجل تقديم صورة ملحمية عن ضخامة التناقضات و تعقيدها ، تلك التي ظهرت ضمن المجتمع الرأسمالي في أعنف صورها ، وبدأت الرواية تعود إلى الأسلوب الخرافي الذي اختطته في بداياتها غير أن

---

[42]-**المرجع نفسه، ص51/50.**

[43]-**المرجع السابق، ص53.**

هذا الأسلوب صار أسلوب التناقضات المفجعة التي أقلقت الحياة البورجوازية ، و تحول الباثوس المتفائل إلى باثوس مأساوي يغذيه الشعور بأن هلاك الحضارة البورجوازية إنما يخضع لضرورة ما " [44].

ما يسجل في هذه المرحلة هو تأثر الكتاب بالنزعات الرومانسية التي تركت أثرا عميقا على الطبقة البورجوازية منذ الثورة الفرنسية .

د–الواقعية الجديدة و تفكك الشكل الروائي :

ظهرت الرواية بهذا الشكل مع أفول البرجوازية ،ونموذجها كتابات "فلوبير" الذي ازدرى من الواقع البرجوازي في شكل روائي اتسم بشيء من الرومانسية .

يعتبر فلوبير،إذن ، ممثلا لهذا التوجه ، و قد ورث الكتاب تراث الرومانسية " أن نقطة الانطلاق الفنية للواقعية الفلوبرية تكمن في الحقد على الواقع البورجوازي و احتقاره ... فهي تطرح هذا الواقع البورجوازي ، و تتمعن بكل دقة في أشكاله الإنسانية في كتلة التناقضات المتجمدة التي طفت على السطح و لا في تداخلها الحي تحت هذا السطح "[45].

كان الحقد على الواقع و احتقاره ، و استبعاد ثقافة السرد التي تعود إلى العصر القروسطي، و الحنين إلى الملحمة من خصائص الكتابة عند فلوبير ، و كذا الأساليب النثرية المتكاملة و الذاتية المتمردة و الحياة التافهة . و قد حاول كل من فلوبير و زولا التغلب على الرومانتكيين، و هم الذين عايشوا فترة التدهور الإيديولوجي للطبقة البورجوازية ، فحاولوا إيجاد ميدان موضوعي لتمثيلهم في الواقعي ، فقد أراد زولا " أن يقيم الرواية على أساس علمي، و يحل التجربة الواقعية محل الخيال و الإبداع العبثي ....و لكن ذلك لم يفض به إلا إل تسجيل علمي مزعوم لأغراض التطور الرأسمالي دون أن تساعده على سبر أغوار هذا التطور "[46].

---

[44]-المرجع نفسه ، ص70.

[45]-المرجع السابق ، ص70.

[46]-المرجع نفسه ،ص72/71.

تميز أدب فلوبير بالموضوعية الزائفة ، و الرمز الغنائي ؛ بمعنى أن العالم الموصوف ليس مبنيا على أعمال ملموسة لناس ملموسين و في مواقف ملموسة بل هو وسط مجرد يدرج فيه الناس بعد انقضاء الأحوال "افتقار صورة العالم الاجتماعي إلا بشكله السطحي، و كذا افتقار التحديدات الاجتماعية التي اكتشفها و جسدها و القوى المحركة للمجتمع بكل تناقضاته —و إن هذه العملية بالطبع لا يمكن أن تؤدي إلى إبراز المجتمع الرأسمالي بصورة صحيحة على مستوى المعرفة ، و لا إلى ضبط حكايات متناسقة على المستوى الفني "[47].

و هذه الأخطاء المرتكبة على مستوى المعرفة أدت إلى تفكيك الشكل الروائي و أفكاره بصورة منظمة مستعجلة ، و على الرغم من هذا فإن زولا و فلوبير يشكلان المنعطف الحديث في تطور الرواية .

هـ–آفاق الواقعية الاشتراكية :

يرى لوكاتش أنه كلما ظهر عمق الصراع بين البورجوازية و البرولتاريا كحدث في المجتمع كلما قلت إمكانية الروائيين البورجوازيين في معالجة مشكلات المجتمع الأساسية معالجة عميقة "[48].

أنتج الوعي الطبقي في ميدان الرواية مشكلات و مناهج إبداعية جديدة أصبحت مشكلة الإسفاف و التحقير للإنسان في المجتمع الرأسمالي مشكلة رئيسية للشكل الروائي بعامة " و قد قدر لنا أن نلاحظ في الرواية البورجوازية ذلك التوتر الذي يمكن أن ينشأ من كفاح الإنسان في سبيل وجوده الخارجي ، و تكامله الداخلي طالما أن هذا الكفاح كان على أشده ، و يقوم ضد النظام الإقطاعي ، و يكون ضد النظام الرأسمالي "[49].

---

[47] **المرجع نفسه ، ص76.**

[48] **-المرجع السابق ، ص81.**

[49] **-المرجع نفسه ، ص83/82.**

كان هيجل يرى أن الرواية البورجوازية هي صراع لا هوادة فيه ضد كل أشكال الاضطهاد و الاستغلال في المجتمع الرأسمالي ، و هذا ينتج عنه وعي الوضعية بصورة آلية أن البطل الذي يناضل بهذه الطريقة يجب أن يصبح بالضرورة بطلا ايجابيا في منظور الرواية البورولیتارية ." [50]

أصبح البطل الروائي-في هذه المرحلة- هنا قريب من البطل الملحمي ، فقد أخذ الكفاح ضد الإسفاف الإنساني منعطفا جديدا و بلغ مرحلة نوعية أعلى أنتجت نموذج رواية جديدة تماما في الواقعية الاشتراكية ، نموذج منفتح على عناصر الملحمة ،و هو منفصل عنها من جهة أخرى لأنه يتطور بالضرورة انطلاقا من مجتمع بدون طبقات ، و هو في طور الولادة ، و بهذا السبب فهو لا يقطع الصلات التي تربطه بالرواية الكلاسيكية ،لأن تشييد الجديد و هدم القديم بصورة موضوعية و ذاتية مرتبطان بصورة جديدة ، وليس في مقدور أي شيء أن يقطع هذه الصلات .

و تصبح مهمة الأدب في هذه الفترة " في إبراز الإنسان الجديد ضمن واقعية المادي الملموس الفردي و الاجتماعي في آن معا ، و نزعة الأدب هذا يجب أن تهدف إلى السيطرة على عملية التطور ذات الأشكال المتعددة في صالح التجسيد الإبداعي "[51].

رأى لوكاتش أن رواية بهذه المواصفات ينبغي أن

- تكون مفعمة بالإنسانية .

-تخضع لعمل نقدي و يجاوزها عن طريق النقد.

-تستخلص الوحدة الجدلية القائمة بين ما هو فردي و ما هو اجتماعي . و بين ما هو خاص و ما هو نموذجي .

-الوعي التشوهات التي أحدثها تدهور الرأسمالية على صعيد المسائل المطروحة على المجتمع .

-أن تميل إلى الشكل الملحمي و تربط علاقة مع التراث .

و ستعود الرواية -في هذه المرحلة- إلى مسعاها الأول نتيجة الاستجابة لتطور المجتمع اللاطبقي و رواية الأم لغوركي مثال ذلك ." لقد كان ماكسيم غوركي الكلاسيكي الأول للواقعية الاشتراكية ،

---

[50] **المرجع نفسه ، ص83.**

[51] **-المرجع نفسه ص87.**

يقيم علاقات مباشرة بل و شخصية مع الكلاسيكين الآخرين الذين أفرزتهم الواقعية البورجوازية الكبيرة (تولستوي) و من ثم فإن آثار مكسيم غوركي الأدبية تمثل تواصلا حيا للتقاليد الكبرى في الواقعية ، و هي في الوقت نفسه عمل نقدي يتناول هذه التقاليد طبعا لآفاق تطور الواقعية الاشتراكية "[52].

إن هذه المرحلة تمثل النضج البروليتاري في صراعه ضد قيم الرأسمالية ،في هذا العالم نظير البطل الإيجابي الذي يذكرنا ببطل الملحمة دون أن تستعيد الرواية الخصائص الجمالية لها.

يؤكد "لوكاتش" من خلال هذا التحقيب على أن الفن الروائي هو رحلة تاريخية تبدأ بالملحمة الإغريقية ثم التشكل في أنماط مختلفة مستجيبة للتحولات الاجتماعية و التناقضات الطبقية لتستقر في آخر الأمر على النموذج الأول في شكل الدورة الزمنية الحتمية.

[52]-**المرجع السابق ، ص89.**